

فتح القدير

ثم أخبر اﻻ سبحانه بأن هذا الإنذار والتحذير والتوعد لم ينجع فيهم ولا لانت له قلوبهم بل هم مصرون على العناد مصممون على الكفر فقال مصدرا لهذا الإخبار بكلمة التنبيه الدالة على التعجب من حالهم وأنه أمر ينبغي أن يتنبه له العقلاء ويفهموه 5 - { ألا إنهم يثنون صدورهم } يقال : ثنى صدره عن الشيء : إذا ازور عنه وانحرف منه في الكلام كناية عن الإعراض لأن من أعرض عن الشيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وقيل معناه : يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والإعراض عن الحق فيكون في الكلام كناية عن الإخفاء لما يعتقدونه من الكفر كما كان دأب المنافقين والوجه الثاني أولى ويؤيده قوله : { ليستخفوا منه } أي ليستخفوا من اﻻ فلا يطلع عليه رسوله والمؤمنين أو ليستخفوا من رسول اﻻ A ثم كرر كلمة التنبيه مبينا للوقت الذي يثنون فيه صدورهم فقال : { ألا حين يستغشون ثيابهم } أي يستخفون في وقت استغشاء الثياب وهو التغطي بها وقد كانوا يقولون إذا أغلقنا أبوابنا واستغشنا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد فمن يعلم بنا ؟ وقيل : معنى حين يستغشون : حين يأوون إلى فراشهم ويتدثرون بثيابهم وقيل : إنه حقيقة وذلك أن بعض الكفار كان إذا مر به رسول اﻻ A ثنى صدره وولى ظهره واستغشى ثيابه لئلا يسمع كلام رسول اﻻ A وجملة { يعلم ما يسرون وما يعلنون } مستأنفة لبيان أنه لا فائدة لهم في الاستخفاء لأن اﻻ سبحانه يعلم ما يسرونه في أنفسهم أو في ذات بينهم وما يظهره فالظاهر والباطن عنده سواء والسر والجهر سياتن وجملة { إنه عليم بذات الصدور } تعليل لما قبلها وتقرير له وذات الصدور هي الضمائر التي تشتمل عليها الصدور وقيل هي القلوب والمعنى : إنه عليم بجميع الضمائر أو عليم بالقلوب وأحوالها في الإسرار والإظهار فلا يخفى عليه شيء من ذلك